الخطبة الثالثة عشرة

قليلاً ما تشكرون - لعلكم تشكرون
هل نحن من الشاكرين؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

إن شكر الله سبحانه وتعالى صفة من صفات المؤمنين، لأن المؤمن يعلم بأن الله سبحانه هو مصدر الخيرات والنعم، وأن الله سبحانه هو العاطي والرازق لكل النعم، ولكل ما يحتاجه الإنسان والكون كله، والمؤمن يشهد لله تعالى بكل شيء، وكلما ازداد شكر العبد لله تعالى فهذا دليل معرفته ودليل شهوده لنعمة الله تعالى عليه، ودليل اعتراف بفضل الله تعالى عليه، وعظمة نعمة الله عليه وفضل الله تعالى وعطاءاته سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 31/ 20]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 14/ 34].

كيف تعد المفرد؟ المفرد لا يُعَد ولكنه تعالى قال: ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ﴾، فالنعمة جاءت مفردة وطالبك الله بعدها فكيف تَعُدُ المفرد؟ معنى هذا أن النعمة أيّاً كانت فهي مركبة من نعم كثيرة، فلو أمضيت عمرك في عَدِّ تراكيبها لا يمكن لك أن تحصيها

أو تحيط بها؛ لذلك قال في سورة لقمان: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ جاءت بالجمع لأن تراكيب النعمة نِعَمٌ ظاهرة وباطنة، قد تعرف بعضها ولكنك تجهل أكثرها. ونِعَمُ الله تعالى تحيط بك وترعاك بعلم منك ودون علم، فالِكلْيَةُ تعمل في النوم واليقظة بعلمك أو بدون علمك، ودون إرادتك أو تحكم منك، وكذلك ملايين الأجهزة في جسمك، ولولا هذه النِعَمْ لكنت في عداد الموتى، ورزقك ومعيشتك والكون المحيط بك كله من الله لك؛ لحياتك، وراحتك، وسعادتك.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 45/ 13]، وكلمة (سَخَّرَ) مرت في القرآن الكريم (16) مرة وذلك ليعرفنا ربنا ببعض نعمه علينا. وكانت آخر آية هي هذه الآية الجامعة لجميع ما سخره الله تعالى فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ .

فكلما ازداد شكر الإنسان لربه كان ذلك دليل تبصره ومشاهدته وشهوده ومعرفته واعترافه وامتنانه وتقديره لنِعَمِ الله عليه.

وكلما قَلَّ شكره لله كان ذلك دليل جحوده وعدم تَبصُّرِه ومعرفته لنعم الله عليه، وقلة الشكر دليل على عدم المعرفة، فهو لا يعرف عظمة الله تعالى ولا يعرف نعمه عليه لذلك لا يشكره -والعياذ بالله- لذلك لا بد من شكر الله تعالى؛ لأن الشكر دليل المعرفة ودليل الإيمان ودليل التعلق بالله، ودليل الاعتماد على الله.

1 - فأنا أشكره لأنه سبحانه هو المستحق للشكر على نعمه ولأنه هو مصدر النِعَمْ، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: 16/ 53].

2 - أشكره سبحانه ليزيد من نعمه ومن فضله ومن كرمه، قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: 14/ 7].

3 - أشكره سبحانه لكي أحافظ على النعمة وحتى لا أخسرها، قال تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: 14/ 7].

4 – أشكره لأني عبد وهو سبحانه سيدي ومولاي وأنا لا طاقة لي ولا حول ولا قوة، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 7/ 188]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: 10/ 48].

5 – أشكره سبحانه بتطبيق شرعه وأحكامه، أشكره بإنفاق النعمة كما أمرني وفي الطريق المشروع.

6 – أشكره بتحصيل النعمة بموجب أوامره وشرعه وبالطريق الحلال المشروع.

7 – أشكره تعالى بنكران الحال ونكران الحول والطَول والقوة، لا حول ولا قوة إلا بالله، وما توفيقي إلا بالله.

8 – أشكره بإثبات الفضل له سبحانه في كل شيء، والإقرار له سبحانه بكل الأفضال والنعم. فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت» متفق عليه.

9 – رجاءً اقرأ معي هذه النصوص وفكر فيها بتمعن وروية.

قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: 76/ 1].

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1/ 5].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: 35/ 15].

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: 16/ 53].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبَّرنا فقال ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكن تدعون سميعاً بصيراً» ثم أتى عليَّ وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله

فقال: يا عبد الله بن قيس «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة» البخاري ومسلم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان» صحيح - ت.

ما أريد أن أقوله: إن الله سبحانه أعطاني وأمدني، وخلق وسهَّل لي -بعد أن أوجدني- كل ما أريده وما أحتاجه، فهل أنا عرفت قدره؟ وهل أنا عرفت نعمه؟ عشر آيات في القرآن تشرح وتوضح أن الإنسان والناس قليلاً ما يشكرون مع فضل الله وإنعام الله عليهم.

1 - قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الملك: 67/ 23].

2 - قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: 2/ 243].

3 - قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يونس: 10/ 60].

4 - قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: 12/ 38].

5 - قال تعالى: ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [النمل: 27/ 72 - 73].

6 - قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر: 40/ 61].

7 - قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 34/ 13].

8 - قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 10].

9 - قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: 23/ 78].

10 - قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 32/ 9].

ثم إن الله سبحانه وتعالى أورد علينا بعضاً من نعمه في القرآن الكريم وهي موجبة للشكر، وكأنه سبحانه يقول -والله أعلم- أن مع هذه الفضائل وهذه النعم التي أنعمتها على العباد التي يجب أن تكون داعية وموجبة للشكر ولكن أكثرهم لا يشكرون.

ولقد وردت ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في القرآن (14) مرة بدأها الله سبحانه بحال بني إسرائيل بأن الله هداهم وبعث لهم نبياً، ثم اتخذوا العجل، ثم سألوا أن يروا الله جهرة، ثم أماتهم ثم أحياهم ثم أنزل عليهم المن والسلوى، فهل هم كانوا من الشاكرين؟ ويورد الله سبحانه وتعالى علينا أخبارهم وقصصهم رحمة بنا وحتى لا نقع بما وقعوا به من الأخطاء وحتى نتعرف إلى رحمة الله على عباده.

1 - قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 2/ 51 - 52].

2 - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 2/ 55 - 56].

ثم إن الله يرينا بعضاً من نعمه علينا وأحكام الله تعالى وأوامره وفرائضه رحمة لنا في الدنيا والآخرة، ومثال ذلك شهر رمضان الذي أنزل الله تعالى فيه القرآن وأمرنا بصيامه وقيامه وهدانا لما فيه خيرنا وصلاحنا فهل نحن من الشاكرين؟

3 - قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 2/ 185].

ثم يبين الله سبحانه صوراً من فضائله علينا، وبعد كل فضيلة يذكرنا بأن هذه الفضيلة والنعمة وأمثالها موجبة للشكر، ولكن السؤال الضمني: هل نحن من الشاكرين؟ هل نحن ممن أدرك مقدار هذه النعمة وأمثالها؟ هل نحن ممن وعى وفهم فضل الله، ونِعَمَ الله تعالى، ولطف الله تعالى، ورحمة الله تعالى، وكرم الله تعالى، وبعد ذلك عظمته وقدرته؟ وإني مضطر إلى الاستطراد قليلاً لأورد ثلاث آيات أوردها سبحانه في أننا لم نقدر الله حق قدره فقال:

1 – قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 91].

2 – قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 22/ 74].

3 – قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 39/ 66 – 67].

والآن أعود إلى سرد بقية آيات الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وذكرت ثلاث منها وإليك بقية الأربع عشرة آية:

4 – قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 123].

5 – قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 5/ 6].

6 – قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 5/ 89]، 1 – إطعام عشرة مساكين، 2 – كسوتهم، 3 – تحرير رقبة، 4 – صيام ثلاثة أيام.

7 – قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ

ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: 8/ 26].

8 – قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: 16/ 14].

9 – قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل: 16/ 78–79].

10 – قال تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الحج: 22/ 36].

11 – قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص: 28/ 73].

12 – قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الروم: 30/ 46].

13 – قال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [فاطر: 35/ 12].

14 – قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الجاثية: 45/ 12].

وفضل الله تعالى ونعمه تتجلى في خلقه وقدرته وفي كل شيء له آية، وتتجلى أيضاً في رحمته وعطفه وحنانه ولطفه بنا وخذ أمثلة على ذلك:

قال ﷺ: «يقول الله: من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إليَّ شبراً اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» (حم - م - هـ عن أبي ذر).

قال ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» (حم - ق - ت - هـ عن أبي هريرة).

قال ﷺ: «قال الله تعالى: من آذى لي وليًا فقد استحل محاربتي، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته، وذاك لأنه يكره الموت وأنا أكره مساءته» حم.

قال ﷺ: «ما من آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يزيغه أزاغه، وإن شاء أن يقيمه أقامه، وكل يوم الميزان بيد الله، يرفع أقوامًا ويضع آخرين إلى يوم القيامة» (طب عن نعيم بن همار).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عليه الصلاة والسلام إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا رأى ما يكره قال: «الحمد لله على كل حال، رب أعوذ بك من حال أهل النار» ابن ماجه.

وعن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما كان الله سبحانه ليفتح باب الشكر ويغلق باب المزيد، وما كان الله ليفتح باب الدعاء ويغلق باب الإجابة، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويغلق باب المغفرة». أتلو عليكم من كتاب الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

1 - الله خلقنا وأوجدنا وجعلنا في أحسن تقويم، 2 - خلق لنا السموات والأرض ومن فيهن، 3 - خلق لنا الجمال بكل صوره، انظر حولك من الورود والروائح العطرة وجمال المخلوقات كلها للذاتك ولسعادتك، 4 - خلق لنا الحواس لنتمتع بما خلق لنا، 5 - ثم هدانا إليه وأرسل لنا الرسل وحفظ لنا ديننا وقرآننا، 6 - وما أمرنا إلا بما نستطيعه ولا كلفنا ما لا نطيقه، 7 - ورضي منا بالقليل. قال ﷺ: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ غُفر له وإن كان فر من الزحف» صحيح الترمذي، 8 - ومن تقرب إليه سبحانه كان كما جاء في الحديث. 9 - أما آن لنا أن نعترف بِنِعَمِ الله علينا ونشكره؟ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم.

فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، قال ﷺ: «اللهم لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقوله: «لا ينفع ذا الجد منك الجد»: الجدّ صاحب المال والغنى والولد والسطوة والرفعة في الدنيا، هذا كله لا ينفعه يوم القيامة، إلا إذا سلطه وجعله في خدمة الله تعالى وخدمة دينه وكان من كسب حلال مشروع، وأنفقه واستخدمه فيما شرعه الله تعالى، وقوله: «لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت» توحيد لله تعالى وإثبات لربوبيته، وإثبات لأسمائه وصفاته، وبُعْدٌ عن الشرك، لأنك آمنت وأعلنت أنه لا مانع لما يعطيه الله تعالى لأنه على كل شيء قدير، وهو القاهر فوق عباده، ولا معطي لما منعت لأن الخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر له وبيده سبحانه وتعالى، وقال عليه الصلاة والسلام: «فإن الله تعالى لا يُدرَك ما عنده إلا بطاعته» عبد الرزاق في مصنفه، البيهقي، والحاكم.

فاشكر الله يا عبد الله، واعبده يزيدك من خيراته ومن نعمائه.